الذكر في القرآن الكريم

د. محمد البيومي عبد الحكيم صقر

قسم التفسير والحديث

الحمد لله جعل الذكر سبيلا للعرفان ، واصطفى أهله فصفاهم ، وحين وافوه وافاهم ، وإذا نادوه أدناهم ، فآنسهم وآناهم تقرابهم . وصلوات الله وسلامه على حبيب رب العالمين ، وإمام الأصفياء الذاكرين . الذى شرفت به العوالم العلوية والسفلية ، وبلغه ربه أقصى مراتب العبودية حيث دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، وحاز المقام الأوحد الأسنى سيدنا ونبينا وأمامنا المصطفى المجتبى سيدنا محمد بن عبد الله ، مصدر كل إكرام وإنعام وعلى آله وصحابته وعترته نجوم الهدى ، ومنبع الندى ووارث سره الباهر ورضى الله تبارك وتعالى عن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وعن أولياء الله والصالحين ومن سار على نهجهم واتبع طريقهم آمين .

وبعـــد :

فقد حفل القرآن بمادة (ذكر) على إختلاف معانيها ومبانيها ومناسباتها فيما يقرب من ثلاثمائة موضع ، مما يدل على شدة العناية بهذا المعنى والإهتمام البالغ به واصالته فى وظيفة الإنسان التى خلق من أجلها . والذكر : بالكسر كما جاء فى القاموس : الحفظ للشيء كالتذكار . والشيء يجرى على اللسان ، والصيت كالذكرة بالضم ، والثناء ، والشرف ، والصلاة لله تعالى ، والدعاء ، والكتاب فيـــه تفصيل الدين ووضع الملل . وأذكره ، وأذكره ،

واستذكره — تذكره ، وأذكره إياه ، وذكره والاسم الذكرى . تقول : ذكرته ذكرى .

وقوله تعالى (وذكرى للمؤمنين) اسم للتذكير ، (وذكرى لأولى الألباب) عبرة لهم (وأنى له الذكرى) من أين التوبة و(ذكرى الدار) أى يذكرون بالدار الآخرة ويزهدون فى الدنيا . (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) أى فكيف إذا جاءتهم الساعة بذكراهم . وما زال مـنى على ذكر أى تذكر(١) .

فالذكر بمعنى الحفظ للشىء كالتذكار كقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون)(٢) قال الرمانى والزجاج والأزهرى : المراد بأهل الذكر علماء أخبار الأمم السالفة كائنا من كان . فالذكر بمعنى الحفظ(٣) .

ومنه قوله تعالى (فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمرى إلى الله)(٤) (يا بنى إسرائيل أذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون)(٥) وهو من الذكر بكسر الذال وضمها بمعنى واحد ويكونان باللسان والجنان . وقال الكسائى : هو بالكسر للسان وبالضم للقلب . وضد الأول الصمت وضد الثانى النسيان(٦) .

---

(١) القاموس المحيط جـ١ صـ ٣٥ بتصرف يسير .
(٢) النحل ٤٣
(٣) تفسير الإمام الألوسى جـ١٤ صـ ١٤٧
(٤) غافر ٤٤
(٥) البقرة ٤٠
(٦) الألوسى جـ ١ صـ٢٤٢

كقوله (واذكر ربك إذا نسيت)(١) .

ومن الشيء يجرى على اللسان كقوله تعالى (سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم)(٢) .

(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين)(٣) وبمعنى الصيت كقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك)(٤) وبمعنى الشرف كقوله تعالى (والقرآن ذى الذكر)(٥) (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)(٦) وبمعنى الثناء كقوله تعالى (والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين)(٧) .

وكقوله تعالى (يا أيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها)(٨) .

وبمعنى الصلاة كقوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع)(٩) .

وبمعنى الكتاب فيه تفصيل الدين ووضع الملل كقوله تعالى (ذلك

---

(١) الكهف ٢٤
(٢) الأنبياء ٦٠
(٣) الأنعام ١١٨
(٤) الشرح ٤
(٥) ص ١
(٦) الزخرف ٤٤
(٧) الزخرف ١٢ ، ١٣
(٨) الأحزاب ٩
(٩) الجمعة ٩

تتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم)(١) (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا)(٢) (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)(٣) .

(أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى)(٤)

وذكر الله تعالى هو العبودية الحقة لله تعالى . ويكون باللسان كقراءة القرآن والصلاة وكالحمد والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل وسائر الأذكار الواردة فى الكتاب والسنة كترديد اسمائه الحسنى سبحانه جل شأنه وهذه عبودية اللسان .

ويكون كذلك بالفكر والتأمل فى الدلائل الدالة على الصفات الإلهية والأسرار الربانية وهذه عبودية الروح والقلب .

ويكون باستغراق الجوارح فى الأعمال المأمور بها خالية عما هو منهى عنه وهذه عبودية الجوارح . فذكر الله أشرف العبادات وأنفس مايجرى على اللسان من كلمات وأزكى ما يمر بالخاطر من صور وما يثبت فى القلوب من معان .

وهو مفتاح الصلة المباشرة بالله الكبير المتعال ما إن يشرق معناه فى نفس الذاكر وتتحرك به شفتاه حتى يذكره الله بلطفه وبره ويصحبه بتأييده وعطفه ولذلك سميت الصلاة ذكرا فقال تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) وجعلها الله تعالى لمن أقامها آمرة له بالمعروف ناهية له عن المنكر

---

(١) آل عمران ٥٨
(٢) الأعراف ٦٣
(٣) النحل ٤٤
(٤) ص ٨

فقال تعالى (أتل ماأوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون)(١) .

وهنا نتساءل : الصلاة ذكر كما أطلق عليها القرآن لأن العمدة فيها هو الذكر وذكر الله اكبر . أكبر من ماذا ؟؟ أكبر من الصلاة ؟؟ أم من أى شيء آخر ؟ .

أجاب عن ذلك الإمام الألوسى : فقال إن ذكر مصدر مضاف إلى فاعله . والمعنى ولذكر الله تعالى اياكم أكبر من ذكركم إياه سبحانه . أو ولذكر الله تعالى العبد اكبر من ذكر العبد لله تعالى . ونسب ذلك إلى ابن عباس . وابن مسعود . وابن عمر وغيرهم — وقيل عن ابن عباس أنه قال ذلك ثم قرأ (فاذكرونى أذكركم)(٢)

وقيل : يجوز أن يكون أفعل التفضيل ليس للتفضيل سواء كانت إضافة المصدر للفاعل أم للمفعول كما فى : الله أكبر .

وقيل : إن ذكر مصدر مضاف إلى مفعوله والمفضل عليه محذوف والمعنى على ذلك قيل فيه : ولذكر العبد لله تعالى فى الصلاة اكبر من سائر الصلاة .

وقيل : ولذكر العبد لله تعالى فى الصلاة اكبر من ذكره اياه سبحانه خارج الصلاة .

وقيل : ولذكر العبد لله تعالى اكبر من سائر اعماله .

وروى عن جماعة من السلف مايقتضيه :

---

(١) العنكبوت ٤٥

(٢) البقرة ١٥٢

أخرج أحمد فى الزهد وابن المنذر عن معاذ بن جبل قال : (ما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله تعالى ، قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى ؟ قال . ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ، لأن الله تعالى يقول فى كتابه (ولذكر الله أكبر) وأخرج بن أبى شيبة وابن جرير عن أبى الدرداء قال :

ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها إلى مليككم وأسماها فى درجاتكم ، وخير من أن تغزوا عدوكم فيضربوا رقابكم وتضربوا رقابهم وخير من إعطاء الدنانير والدراهم ؟

قالوا : وماهو ياأباالدرداء؟ قال : ذكر الله تعالى (ولذكر الله أكبر)

وأخرج ابن جرير عن سلمان أنه سئل : أى العمل أفضل ؟ قال : أما تقرأ القران ؟ (ولذكر الله أكبر) لاشىء أفضل من ذكر الله .

وجاء عن ابن عباس أيضاً رواية تشعر بأن المراد بذكر الله تعالى ذكر العبد له سبحانه وأنه أفضل أعمال العبد(١) .

ومن هنا كانت مكافأة الذاكرين الله تعالى أكبر من ذكرهم حيث يقول الحق تبارك وتعالى (فاذكرونى أذكركم وأشكروا لى ولا تكفرون)(٢) فذكر الله لعباده لا شك أنه أعظم وأكبر من ذكرهم له . لأنه سبحانه يذكرهم بما ينفعهم نفعاً أبدياً لا يفنى (ما عندكم ينفدو ما عند الله باق)(٣) (وما عند الله خير وأبقى)(٤) قال الحسن البصرى فى قوله تعالى (فاذكرونى أذكركم :

---

(١) تفسير الألوسى ج ٢٠ ص ١٦٥

(٢) البقرة ١٥٢ (٣) النحل ٩٦

(٤) القصص ٦٠

قال:أذكرونى فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسى، وعن سعيد بن جبير : اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى وفى رواية برحمتى(١) .

وفى الحديث الصحيح يقول الله تعالى : (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه) (أنا مع عبدى إذا هو ذكرنى وتحركت بى شفتاه)(٢).

وفى رواية للإمام أحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل : « يا ابن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى ، وإن ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ من الملائكة — أو قال فى ملأ خير منه — وإن دنوت منى شبرا دنوت منك ذراعا ، وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعا ، وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة »(٣) .

وقد وصف الله تعالى أولى الألباب الذين يتخذون من هذا الكون البديع كتاباً يهتدون بآياته ويعتبرون بعظاته ويشاهدون الحق من خلال تأملاته — وصفهم بقوله تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »(٤) .

فقد أطلق عليهم رب العزة جل جلاله أنهم أولوا الألباب وهذا وسام

---

(١) تفسير ابن كثير حـ ١ ص ١٩٦

(٢) ابن ماجه .

(٣) صحيح الإسناد أخرجه البخارى عن قتاده .

(٤) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١

عظيم يضعه المولى على صدورهم لأنهم عرفوا طريقه وسلكوا سبيله بدوام ذكره فاستنارت بصائرهم واهتدت عقولهم واطمأنت قلوبهم وتحقق الحق لهم ثباتاً ويقينا حتى شاهدوا الغيب عياناً واجتلت فكرتهم فكانت نوراً وعرفانا .

وأولوا الألباب أصحاب العقول النقيه الخالصة هم المخصصون بالتذكر والإنتفاع بالذكر .

(أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب)(١) .

(كتاب أنزلناه إليك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)(٢) .

(قل هـــل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)(٣) .

روى عن عطاء قال : قلت لعائشة رضى الله عنها : أخبرينى بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : وأى شأنه لم يكن عجبا ؟ .

إنه أتانى ليلة فدخل فى لحافى ثم قال:(ذرينى أتعبد لربى ، فقام فتوضأ ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جـــاء بلال فأذنه بالصلاة) .

---

(١) الرعد ١٩
(٢) ص ٢٩
(٣) الزمر ٩

فقلت : يارسول الله ، مايبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ .

قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ .

ولم لاأفعل وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة (إن فى خلق السموات والأرض)(١) الآية .

فأولوا الألباب هم الذين يذكرون الله ويديمون ذكره فى جميع أحوالهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض قيل: قدم الذكر على الدوام على التفكر للتنبيه على أن العقل لاينى بالهداية مالم يتنور بنور ذكر الله تعالى وهدايته ، فلابد للمتفكر من الرجوع إلى الله تعالى ورعاية ماشرع له، وأن العقل المخالف للشرع ليس الضلال ولا نتيجة لفكره إلا الضلال(٢) .

فذكر الله هو الحصانة للعقل والهداية للقلب ، والنور للبصيرة، والزاد للروح وهو اليقين والأمان والإطمئنان .

يقول الإمام الألوس : والظاهر أن المراد من الذكر الذكر باللسان لكن مع حضور القلب إذ لاتمـــدح بالذكر بدونه بل قالوا أنه لاثواب لذاكر غافل وإليه ذهب كثير من العلماء .

كما أن المقصود بقوله تعالى : « قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » كما قال بعض المحققين ذكره تعالى مطلقاً سواء كان ذلك من حيث الذات ، أو من حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه ذكر اللسان أولا .

---

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه وابن عساكر وغيرهما .

(٢) تفسير الألوسى حـ ٤ صـ ٥٩

والمعنى عليه : الذين لا يغفلون عنه تعالى فى عامة أوقاتهم باطمئنان قلوبهم بذكره وإستغراق سرائرهم فى مراقبته(١) .

وهنا نقف وقفة بسيطة نتأمل فيها نص القرآن الكريم فى قوله تعالى: « قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم» ليتضح لنا أن الذاكر مع فهمنا لسياق الآية بأن المقصود الدوام لا مانع من أن يذكر الله تعالى على جميع هيئاته من قيام وقعود وإضطجاع لأن ذلك ينشطه ويدفع عنه الخمول والكسل خاصة وأن الشيطان يقف له بالمرصاد يريد أن يحول بينه وبين ذلك الفضل العظيم فالحركة أثناء الذكر ليست ممنوعه أو منافية لمقتضاه مادامت النية صحيحة بل أنها مطلوبه ، ذكر الإمام الألوسى أنه حكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وعروة ابن الزبير وجماعة رضى الله تعالى عنهم أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقـــال بعضهم : أما قال الله تعالى « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » فقاموا يذكرون الله تعالى على أقدامهم على أن مرادهم بذلك التبرك بنوع موافقة للآية فى ضمن فرد من أفراد مدلولها(٢) .

وأما ما قاله بعض العلماء من أنه لا ثواب لذاكر غافل فإننا نخالف فى ذلك وأرى أن الذى يذكر ربه بلسانه ولو كان غافلا لا يحرم من ثواب الله لأنه سبحانه كريم وهاب وهذا الذاكر قد ترطب لسانه وتحركت شفتاه بذكر الله فهو وإن غفل عن المعنى وفاته التدبر والتأمل إلا أن له نية فى الذكر ونية المرء خير من عمله وقدهم بحسنة فعلا فلو إعتبرنا عمله كلا عمل فلا أقل من أن يجازى على الحسنة التى هم بفعلها ولم يفعلها .

كما ورد فى الحديث عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال فيما يروى

---

(١) تفسير الألوسى حـ ٤ ص ١٥٨

(٢) المصدر السابق

عن ربه عز وجل (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فى كتابه فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هو هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) زاد فى رواية أو محاها ولا يهلك الله إلا هالكاً(١) .

فما بالك وقد شغلت بما جوارحه ؟ نعم يمكن أن يقال إن ثوابه لا يلحق بثواب الذاكر اليقظ المتأمل.

كما أن انتفاعه بنور الذكر أيضاً قد لا يوجد بالكلية أو على الأقل لا يكون له الأثر المرجو فى سلوكه بسبب غفلته وغيبته .

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال : فيحفونهم باجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم — ما يقول عبادى؟ قال: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول: هل رأونى؟ فيقولون: لا والله ما رأوك ، قال: فيقول وكيف لو رأونى قال: فيقولون لو راوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر تسبيحاً قال: فيقول : فما يسألونى ، قالوا : يسألونك الجنة قال : يقول وهل رأوها . قال : يقولون لا والله يارب ما رأوها ، قال: فكيف لو أنهم راوها قال : يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال : فمم يتعوذون قال : يقولون من النار قال : يقول وهل رأوها قال : يقولون لا والله يارب ما رأوها قال : يقول فكيف لو راوها قال : يقولون لو راوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة قال : فيقول

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

اشهدكم أنى قد غفرت لهم قال : يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم (وفى رواية الإمام مسلم عن ابى هريرة أيضا قال : فيقول وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) فنص على الغفران لمن جالس الذاكرين ولم تكن له نية مسبقة فى الذكر وإنما جاء لحاجة أخرى فجلس معهم فالذى يقصد الذكر وينوبه أولى بأن لا يحرم من الثواب .

ويقول ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه :

(لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه فإن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره . فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة . ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع رغبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) .

يرى ابن عطاء الله أنه لا ينبغى للمرء أن يترك الذكر ولو كان قلبه مشغولا فإن إصراره على الذكر سوف يترقى به إلى أعلى المراتب .

فقد تطغى صور الوجود الأدنى على الفؤاد فيكون ذكر المرء لله حركة لسان لا تصحبها صحوة جنان . وربما يشعر الذاكر بأن هذا الذكر قليل الجدوى والأولى به أن يصر عليه لأن هذا الإصرار حتى لو انتهى الأمر عند هذا اللون من الذكر فهو خير من السكوت لأنه انشغال عضو بطاعة الله ، وهذه المشغلة حاجز عن معصيته .

فكيف لو ترقى به هذا الإدمان لذكر الله فقض مغاليق الغفلة عن قلبه وجعله يقظان المشاعر فهو يذكر بلسانه وقلبه جميعا .

وابن عطاء الله يبغى تحصين المسلم ضد الانتكاس والارتكاس فقد يزدرى ذكر اللسان لأنه وسيلة فاشله فى تحريك القلب فتكون النتيجة أن يهمد فيه وقلبه معاً وتجرفه تيارات الحياة بعيدا فقلما يخطر على باله ذكر به .

وذكر الله تعالى هو طريق الرشاد والقائد إلى كل خير والدافع لكل ضر يقول الله تعالى فى صفات المتقين الذين ينيبون إلى الله إذا فعلوا فاحشه أو ظلموا أنفسهم (والذين إذا فعلوا فاحشه أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم)(١) فبذكرهم لله يعيدون أنفسهم لحظيرته وقربه وتلك هى التوبه التى تطهرهم وتنأى بهم عن الدنايا والرذائل — والائتفاع بالمصطفى ﷺ والاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة لا يتأتى إلا (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)(٢) .

والإستمتاع بالنعمة ومعرفة قدرها لا يتم إلا بمعرفة المنعم وإدراك فضله فى تسخير كونه وإيصال إنعامه وذلك بالذكر يقول تعالى (والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين)(٣) .

ووجل القلب وخشوع النفس مما يتميز به المؤمنون عند ذكر الله تعالى كما فى قوله عز وجل (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)(٤) .

وهو أيضا صفة وعنوان المخبتين حيث يقول سبحانه (وبشر المخبتين،

---

(١) آل عمران ١٣٥ (٢) الأحزاب ٢١
(٣) الزخرف ١٢ ، ١٣ (٤) الأنفال ٢

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)(١) .

كما أن الشيطان لا يستطيع أن يهزم الذاكرين وينتصر عليهم فهم فى حصانة ربهم وحراسة معبودهم (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون)(٢) .

والمنيبون الراجعون إلى ربهم المتأملون فى آيات ربوبيته هم الذاكر المتذكرون (هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب)(٣) .

ومن هنا كان الأمر بالذكر فى القرآن الكريم يتكرر أكثر من خمس وأربعين مرة .

خص الله تعالى عباده أن يجعلوا ذكره متخللا جميع أعمالهم وأحوالهم حتى يكون ذلك الذكر لله عز وجل عونا لهم على بلوغ غاياتهم ونورا لهم فى حياتهم يهديهم إلى كل خير ويعصمهم من كل شر ويعد مماتهم رحمة وغفرانا ويعرفهم حقيقة الحياة الدنيا فيدوم ارتباطهم بالله تعالى فى عبادتهم وعملهم وفراغهم وجميع أحوالهم فيظل الله تعالى ذاكر لهم فى دنياهم وأخراهم: إنعاما وإحسانا وغفرانا وعفوا وتوفيقا وهداية ورحمة ونجاة .

(يايها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)(٤) .

يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله

---

(١) الحج ٣٤، ٣٥ (٢) الأعراف ٢٠١

(٣) غافر ١٣ (٤) الأنفال ٤٥

وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)(١) .

(يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)(٢) .

(فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم)(٣) .

(فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا)(٤).

(فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون)(٥) .

(فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم)(٦) .

(واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار)(٧) .

(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة)(٨) .

(واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا)(٩) .

---

(١) الجمعة ٩، ١٠
(٢) المنافقون ٩
(٣) البقرة ١٩٨
(٤) البقرة ٢٠٠
(٥) البقرة ٢٣٩
(٦) النساء ١٠٣
(٧) آل عمران ٤١
(٨) الأعراف ٢٠٥
(٩) المزمل ٨

[واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا](١) .

[فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين](٢) .

[يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا](٣).

[إذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى](٤) .

والمعرضون عن ذكر الله كفاراً أو منافقين أو مغرورين منحرفين [استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون](٥) .

[ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى](٦).

[ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين](٧) .

[ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا](٨).

قال الإمام الفخر فى تفسيره هذه الآية .

(يدل على أن شر أحوال الإنسان أن يكون قلبه خالياً عن ذكر الحق ويكون مملوء من الهوى الداعى إلى الإشتغال بالخلق ، وتحقيق القول أن ذكر الله نور وذكر غيره ظلمة لأن الوجود طبيعته النور والعدم منبع الظلمة والحق تعالى واجب الوجود لذاته فكان النور الحق هو الله ، وما سوى الله فهو ممكن الوجود لذاته والإمكان طبيعة عدمية فكان منبع الظلمة) .

---

(١) الإنسان ٢٥
(٢) الأعراف ٧٤
(٣) الأحزاب ٤١ ، ٤٢
(٤) طه ٤٢
(٥) المجادلة ١٩
(٦) طه ١٢٤
(٧) الزخرف ٣٦
(٨) الكهف ٢٨

فالقلب إذا أشرق فيه ذكر الله تعالى فقد حصل فيه النور والضوء والإشراق وإذا توجه القلب إلى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الظلمات فلهذا السبب إذا أعرض القلب عن الحق وأقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة فالإعراض عن الحق هو المراد بقوله [أغفلنا قلبه عن ذكرنا] والإقبال على الخلق هو المراد بقوله [واتبع هواه](١) .

ويقول تعالى [فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا](٢) .

[فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين](٣) .

[إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا](٤) .

[وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لايستطيعون سمعاً)(٥) .

[وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا](٦) .

أما الذاكرون الخاشعون فهم السعداء الدارين ذووا المكانة العظمى والشرف الأسمى(قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) (٧) .

(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون

---

(١) تفسير الفخر الرازى جـ ٢١ ص ١١٧

(٢) النجم ٢٩ (٣) الزمر ٢٢

(٤) النساء ١٤٢ (٥) الكهف ١٠٠ ، ١٠١

(٦) الإسراء ٤٦ (٧) الأعلى ١٥

وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)(١) .

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)(٢).

(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ... الآية)(٣) .

ولما كان للذاكرين هذا الفضل وكانت لهم عند الله هذه المنزلة العالية قال الله تعالى لحبيبه ومصطفاه : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا)(٤) فأمره ﷺ وهو نور الوجود وسيد الذاكرين وأفضل خلق الله أجمعين وإمام الأنبياء بحبس نفسه مع هذه الفئة وأن يكون معهم أى فى ضمنهم وألا تنبو عيناه عنهم وأنه إن فعل ذلك فإنه إنما يريد زينة الحياة الدنيا بل إن ذكر الله تعالى حق الله على خلقه جميعاً من إنسان وحيوان ونبات وجماد والكل مطبوع على طاعة الله والاستجابة له والكل ذاكر لله تعالى إن لم يكن بالاختيار فبالتخيير (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفوراً)(٥) .

ولكن المتمردين والشذاذ من الناس الذين لا يؤمنون بالآخرة جعل الله بينه وبينهم حجاباً مستوراً وجعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه فأبعدهم عن ذكره وحجبهم عن رحمته .

---

(١) الشعراء ٢٢١ : ٢٢٧ (٢) الرعد ٢٨

(٣) الأحزاب ٣٥ (٤) الكهف ٢٨

(٥) الإسراء ٤٤

(وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً)(١) .

وبعـــد

فإن كثرة الذكر تورث الصبر وتهدى إلى الشكر وتهب قوة العزم على جهاد النفس والشيطان وتصل بالذاكر إلى الخشية الدائمة ومراقبة الرحمان وتبعثه على الرجعى إليه مع خالص الإطمئنان وتقوى فيه اليقين وصحيح الإيمان، وتطبعه على الزهد والتواضع والصدق والإحسان وتحققه بالثبات واليقين وتمنحه الحب لله تعالى ولمصطفاه الأمين وترقق حجاب القلب حتى يشف ويتبلور ويصفو من الرجس والشك ويتطهر وتدوم مراقبته لمولاه وهذه المراقبة من أهم ثمرات الذكر وأجل نتائجه فهى الأمان من الإنزلاق وهى النور الذى يرشده ويهديه ، ويدفع عنه الهوى الأثم الذى يتربص به ليرديه .

وإذا كان الذكر هو غذاء السالكين والوصلة مع رب العالمين وقد حث القرآن الكريم على الكثرة منه فإن هذه الكثرة ألزم الآن منها فى أى زمن مضى .

فالسابقون لم تكن لديهم مشاغل اليوم وما تستلزمه الحياة ، من جهاد وكدح ومن سعى دائب وعزم ،وقد تطور الزمن وما فيه ومن فيه وطغت الحضارة الحديثة وعم اللهو بمفاتنه ومآسيه وعم التغافل واشتد التطاحن ، فالذكر القليل الذى كان يصلح بالأمس بخيراته وصفوه لاينفع اليوم لكثرة مفاسده وشره .

---

(١) الإسراء ٤٥ ، ٤٦

من أجل هذا حث الله عباده المؤمنين أن يقاوموه هذا الذهول السائد وأن يتخلصوا من هذه الغيبوبة العامة وأن يذكروا برغم هذه المنسيات وأن ينقذوا أنفسهم من الغرق فى هذه اللجج المتتابعة بالتشبث بذكره وشدة التعلق به فى كل حين وفى كل حال ؟

الدكتور محمد البيومى عبد الحكيم صدقه